على ضفاف الورق

مقالات في الثقافة والحياة

يوسف أحمد الحسن

على ضفاف الورق

مقالات في الثقافة والحياة

على ضفاف الورق

مقالات في الثقافة والحياة

ح أطياف للنشر والتوزيع، ١٤٣٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحسن، يوسف أحمد
على ضفاف الورق/ مقالات في الثقافة والحياة.
/ يوسف أحمد الحسن - القطيف، ١٤٣٢هـ.
٩٦ ص: ١١ × ١٨ سم
ردمك: ٢-١-٩٠٢٤٧-٣٠٩-٩٧٨
١- المقالات العربية أ. العنوان
ديوي ٠٨١ ٧٩٨٧/ ١٤٣٢
رقم الإيداع: ٧٩٨٧/ ١٤٣٢
ردمك: ٢-١-٩٠٢٤٧-٣٠٩-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

مقدمة

كثيرة هي الموضوعات التي تهم المثقف والمثقفين في عالمنا العربي.. فهي تتنوع ما بين الجوانب الثقافية والأدبية والعلمية والاجتماعية والسلوكية والحياتية.

فحيثما يجد المثقف خللا في جانب من جوانب الحياة فإنه يحاول أن يكتب حوله، ويبين جوانب ذلك الخلل، وأن يسد ثغرة قد تكون موجودة في جدار الواقع.

وحيثما يجد جانبا مشرقا في المجتمع، أو موقف ايجابيا أو مشرفا، فإنه يحاول تسليط الضوء عليه، للفت الانتباه إليه من أجل تكريسه كسلوك مؤصل في المجتمع.

وحيثما يجد نهجا حياتيا يوميا يمكن أن يرفد حركة المجتمع ويدفعها للأمام، فإنه لا يدخر جهدا من أجل استثماره كرافعة اجتماعية في الحركة الدائبة

والمتواصلة نحو التكامل في مختلف جوانب الحياة..

يحمـل هـم المجتمـع، ويتكامل مع مختلـف الفئات والجهات التي تعمل من أجل صالح هذا المجتمع، هذه هي رسالة المثقف، أو هي ما يحاول أن يجعل منها رسالته.

وفـي هـذه الصفحـات التـي تجدهـا بيـن يديك، محاولة متواضعة من أجل إضافة ولو لبنة واحدة في البناء الشامخ الذي نتطلع إلى إنشاءه.

هي مجموعة من المقالات التي كتبتها في فترات زمنية متباعدة، ونشرت في عدد من الصحف والمجلات السعودية والخليجية.. يجمع بينها مـا ذكرته أعلاه وقد انتقيتها من بين مقالات عديدة في عدد من المجالات الحياتية.

أتمنى أن تحوز على رضا القارئ.. وأن تسهم ولو قليلا في المسيرة الطويلة في البناء الاجتماعي.

يوسف الحسن

الأحساء – المملكة العربية السعودية

ربيع أول ١٤٣٢هـ

مارس ٢٠١١م

أهمية المنتديات الثقافية في المملكة

مدخل

تعتبر المنتديات الثقافية من أهم المنابر الثقافية في المملكة، لكونها مرآةً حقيقية لنبض الشارع الإجتماعي في ظل ضعف، أو انعدام، المنابر الأخرى، وقد حصلت في السنوات الماضية زيادة في عددها، وتطوُّرٌ في طبيعة نشاطاتها إلى حد لافت. ونحاول هنا أن ندرس أسباب ذلك، والأهمية التي تحظى بها في المجتمع السعودي.

تعريف المنتديات الثقافية:

تسمى أحيانا الصالونات الثقافية، أو الأدبية،

وهي أماكن يجتمع فيها مجموعة من المثقفين - أو من هم على طريق الثقافة - لتداول موضوعات عامة بشكل جماعي، وعادة ما تدار المنتديات بطريقة أن يتم تحديد محاضر يتحدث حول موضوع معين متفق عليه مسبقا، ثم يقوم الحضور بطرح الأسئلة، والنقاشات حول ذلك الموضوع. كما إن العادة جرت في المملكة على أن يعقد المنتدى في منزل أحد المثقفين، أو الوجهاء، وهو الذي يتكفل بالتكاليف المادية للمنتدى، رغم أن بعض أصحاب المنتديات قد قام ببناء مبانٍ خاصة بالمنتديات، وتتفاوت المنتديات من حيث كونها أسبوعية، أو شهرية، أو حتى فصلية، ودورية حسب إمكانات صاحب المنتدى، واستعداد الجمهور للتواصل معه. كما وتتفاوت أعداد الحضور من أقل من عشرة أشخاص إلى بضع عشرات منهم. أما الموضوعات المطروحة؛ فهي إما أن تكون أدبية تتناول قضايا الأدب، والشعر قديما وحديثا، أو قضايا ثقافية متنوعة، أو قضايا علمية، وطبية، وظواهر اجتماعية، أو حتى قضايا سياسية.

وليست المنتديات بدعا في مجتمعاتنا العربية، فقد كان لها دور كبير في الحياة الثقافية والأدبية وحتى السياسية في مختلف مفاصل الحياة السياسية في العالم العربي منذ العهود العربية الأولى في الدولة العباسية وحتى اليوم. وقد كانت تتلون بألوان شتى تتناسب والمرحلة التي تقام فيها، كما إنها كانت تتألق أو تخبو حسب ما يتاح لها من حرية، وما يسمح به الظرف السياسي والاجتماعي.

أسباب نمو المنتديات الثقافية:

تعزى أسباب نمو المنتديات الثقافية في المملكة العربية السعودية إلى عدة أسباب نذكر منها:

أولاً: قلة الخيارات الأخرى الثقافية فيها، ففي الدول الأخرى هناك مسارح -مثلا- وسينما، وصالات ترفيهية متعددة الأغراض، وهذه كلها غير موجودة في المملكة لأسباب دينية أو اجتماعية أو تمويلية، ولذلك فإن بعض المواطنين في بعض مدن

المملكـة يحار في الأماكـن التي يقضـي فيها أوقات فراغـه، فيضيعهـا البعض في الأسـواق والمجمعات التجاريـة أو في الحدائق العامة - إن وجدت - أو في خارج المملكة في أيام العطل الرسمية. نعم يوجد في بعض مدن المملكة فروع للنوادي الأدبية، وجمعيات للثقافـة والفنون، لكن نشـاطاتها محـدودة ومقتصرة على أيام محدودة في السـنة، ولا يمكـن -مهما ازداد عدد أيام عقدها - أن تسـد حاجة الناس للمناسـبات الثقافيـة. كما إن بعض المثقفين يعتبرون موضوعات هذه المؤسسـات إما أنها يطغى عليها الطابع الرسمي الجامـد، أو أنهـا لا تعالـج هومومهـم وهمـوم الناس بشـكل مباشـر وصريـح، وهـو أمر قـد يعتبـر طبيعيا لكونها منابر ثقافية (شـبه رسـمية) قد يؤخذ ما يطرح فيها على أنـه انعكاس للقرارات الحكومية، أو قريب منها على الأقل.

ثانيـاً: يشـعر المثقفـون بـأن جميـع الشـرائح الإجتماعيـة فـي البلاد ممثلة في جهات ومؤسسـات معينـة، فللرياضييـن نـواد خاصـة يجتمعـون فيهـا، ويمارسـون هواياتهـم، ويتبادلـون الآراء حـول

اهتماماتهم المشتركة، وللتجار والصناع، أيضا، هناك الغرف التجارية والصناعية التي يجدون أنفسهم فيها. أما المثقفون فإنهم يشعرون بأنهم يفتقدون المكان الذي يجتمعون فيه، فوجدوا في المنتديات الثقافية ملاذا لهم يمكنهم أن يشعروا - ولو بدرجة - من الإنتماء إليها. وهنا يميل المثقفون إلى المنتديات الثقافية العامة أكثر من ميلهم إلى المؤسسات الرسمية لكون الأولى تعطيهم هامشا أكبر من الحرية. كما إن طبيعة المنتديات غير المرتبطة بأي أطر رسمية تتناغم وطبيعة شريحة كبيرة من المثقفين الذين يميلون إلى التحرر من المواقف المعلبة، أو الإملاءات التي قد تفرض عليهم، وهي، أيضا، ترضي النزعة إلى التمرد عند بعض المثقفين، حيث لا يجدون في النوادي الأدبية مبتغاهم.

ثالثاً: وجود حالة من التعطش الثقافي في البلاد. ففي العقود الأخيرة تنامت طبقة واسعة من الذين وصلوا إلى مراتب عالية من التحصيل الأكاديمي، وهو أمر تستتبعه الرغبة في إكمال جوانب النقص في شخصياتهم، ومن أهمها الجانب الثقافي،

وذلـك أسـوة بأقرانهـم فـي الـدول الأخـرى. ويرى المثقفـون بأن هذه المنتديات تروي ولو جزءا يسـيرا من تعطشـهم للثقافـة، أو لإظهار مـا لديهم من علوم ومعـارف اكتسـبوها فـي أروقـة الجامعـات، وبقيت حبيسة الدراسات الأكاديمية، وأروقة الجامعات.

رابعـاً: الرغبة فـي البروز وإثبـات الذات لدى بعـض التجـار والوجهاء الذين تمكنـوا من تحقيق ما يصبـون إليه ماديا، ويطمحون إلى تحقيق طموحاتهم المعنويـة، وتنميـة حالـة الوجاهة لديهـم، وهي رغبة مشـروعة خاصـة مـع بروز شـخصيات ورمـوز - لا يمكن وصفها بأكثر من (تافهة) - فرضت نفسها على المشهد الإجتماعي في البلاد.

كل هذه الأمـور أدت إلى نمو متصاعد لأعداد ونوعيـات المنتديـات الثقافيـة لدرجـة أنـه يتصادف أحيانـا أن يعقد أكثر من منتدى في مدينة واحدة، وقد ألف الأسـتاذ سهم الدعجاني كتابا رصد فيه عشرات المنتديـات الثقافيـة والأدبيـة في المملكة إن بشـكل مختصر أو مفصل.

أهمية المنتديات الثقافية:

تنبع أهمية المنتديات من أنها تسهم في التواصل الثقافي والفكري بين مختلِف طبقات وشرائح المجتمع التي قد لا تجد مجالا لهذا التواصل في أي مكان آخر، ورغم أن هذا التواصل غير معدوم بشكل كامل حاليا، إلا أنه يحصل بصور فردية ومتباعدة في الزمان والمكان، فتأتي المنتديات لتعوض النقص فيه، وتسهم في تعرف كل شريحة وجيل اجتماعي على الآخر، مما يعني تجسيرا للهوة الثقافية بين الأجيال، وهي، حقيقة، ملاحظة في المنتديات الثقافية في المملكة.

١ – تعزز المنتديات الثقافية من قيمة الثقافة والفكر في المجتمع؛ ففي مجتمعنا يتم تسليط الأضواء على شرائح اجتماعية معينة كالرياضيين والفنانين والمطربين والتجار، لكن المثقفين يفتقرون إلى منابرَ خاصَّةٍ بهم، كما يفتقرون إلى من يعطيهم قيمتهم الحقيقية في المجتمع، وغني عن الذكر أن إعطاء قيمة لشريحة اجتماعية يحفز الناشئة على

التأسي بها وتقليدها، وتحظى بعض أنشطة المنتديات الثقافية ببعض التغطيات الإعلامية في وسائل الإعلام المحلية، وهو ما يحفز للتنافس في الميدان الثقافي والمعنوي، وهو بالتأكيد أبقى وأفضل من التكالب على الجوانب المادية أو السطحية في المجتمع.

٢- المساهمة في بلورة بعض الأفكار من خلال الإستماع إلى آراءَ متنوعةٍ في المجتمع، حيث تتيح المنتديات الفرصة لمناقشة بعض الأفكار بعيدا عن الرسميات والأطر التقليدية، وفي ظل غياب وجود الإستبيانات واستطلاعات الرأي الإجتماعية تبدو المنتديات منابرَ مناسبة جدًّا لجس نبض الشارع حول بعض القضايا الجديدة، أو الشائكة، أو المسكوت عنها في وسائل الإعلام المحلية. كما تعتبر المنتديات فرصة لطرح بعض الأفكار التي قد تبقى حبيسة عقول المفكرين والمثقفين، وقد لا يجدون المجال للإفصاح عنها في أي مكان.

٣- إعطاء أهمية للحوارات البناءة في المجتمع؛ فارتياد المنتديات مع وجود أنظمة تحكم

مسيرة الأحاديث، واحترام المتحدث، وانتظاره حتى يفرغ من حديثه، والتحدث، فقط، عند وصول الدور لمن يطلب التحدث، كل هذه الأنظمة والأعراف تعزز من مفاهيمَ طالما كانت غائبة لدى الكثيرين. كما إن المنتديات تعزز من حالة الإحترام للآخر في الحديث، وفي الأفكار، وهو من الأهداف الرئيسية للمنتديات.

٤- تعزز المنتديات من أهمية الثقافة الشفهية؛ فهي تقوم بتأطيرها وإبرازها بشكل حضاري يتسامى فوق الأساليب غير المنظمة في الحوارات مثل بعض الديوانيات الشعبية العفوية التي يدور فيها الحديث، ويتنقل من موضوع لآخر، ومن شخص لآخر دون احترام للأساليب الحضارية للحوار.

وهكذا. فقد يكون عموم المثقفين والمهتمين بالشأن الثقافي في المملكة قد وجدوا في المنتديات الثقافية ضالتهم التي طالما بحثوا عنها، فهي منابر ثقافية مفتوحة وموجودة في مختلف الأحياء في المدن السعودية، ولا يشعر الناس بأي حواجز أو

حرج في حضورها، وهي تتيح للكبار - كما تتيح للصغار وللمثقفين ولأشباههم -الجلوس تحت سقف واحد يستمتعون فيها بالنقاشات الثقافية، ويمتعون فيها عقولهم بالعلوم والمعارف النافعة، ويتقبل فيها بعضهم البعض الآخر في أجواءَ وديَّة، بعيدا عن الهموم والانشغالات اليومية إلى حال السمو الثقافي، والفكري البناء[1].

(١) نشر في مجلة الواحة - العدد ٤٢- الربع الرابع ٢٠٠٦م.

الهوة بين الثقافة والسلوك

يستطيع المراقب البسيط أن يلاحظ الفرق بين المثقفين وسلوكياتهم. حيث تجد أن بعض المثقفين حين تحدثهم تجدهم متخمين بالمعلومات والمعرفة والثقافة ويتحدثون لك عن مختلف جوانب الحياة وينظرون في جميع المجالات. كما أنهم قد ينتقدون سلوكيات ويثنون على أخرى ويمجدون في شخصيات فاعلة ويذكرون مثالب أخرى. قد تجدهم يصولون ويجولون في كتب الأدب والنقد والتاريخ فتتمنى أن يتسنم بعضهم مسؤوليات كبيرة في إحدى الإدارات الحكومية. لكنك عندما تنظر إلى الجانب العملي التطبيقي من شخصيات بعض

هـؤلاء، فإنك تجـد العجب العجاب. تجدهم سـيئو الأخـلاق داخـل دوائرهم التـي يتحركـون فيها، غير منضبطيـن فـي أعمالهم اليوميـة. يحاولـون التهرب مـن كل التزام عملـي يبدو لهم بأنه متعـب. كما أنهم يحاولون البحث عن (واسطة) في كل دائرة حكومية، لتسـهيل معاملاتهـم الحكوميـة حتـى لو لـم يكونوا محتاجيـن إليهـا. يتحدثـون عـن ضـرورة الانضباط والتقيـد بالطابور، لكن إن اضطرت الظروف بعضهم إلـى الوقوف في إحدى هذه الطوابيـر للانتظار فإنهم يحاولون تجاوز العشرات ممن يسبقونهم.

فما هو السر؟

يبدو أن أحد أسـباب ذلك يرجع إلى أن الثقافة التـي يحـاول الكثيرون تقمصها ليسـت أمر مقدسـا، بل سـلما يحاولون عبره التسـلق نحـو أهداف أخرى كالوجاهة أو التمشـخص، وهذه الأهداف لا تتطلب منهم أن يكونوا ملتزمين بأهداب الثقافة والمثقفين أو بالإلتزام بالسـلوكيات الحضارية. ففي نظرهم يكفي أن يكـون المرء قادرا علـى التحدث في أي موضوع،

والانتصار في أي معركة كلامية، والاستشهاد بأحداث تاريخية أو معاصرة تثبت وجهات نظرهم حول مختلف القضايا.

وهناك مشكلة أخرى في بعض هؤلاء المثقفين، وهي قدرتهم على تبرير أي سلوك خاطيء أو شائن يقومون به. فتخطي الطابور هو لرغبتهم في المحافظة على أوقاتهم (الثمينة) التي هي ملك (الجميع)، وهجومهم الشخصي على الآخرين هو من أجل (سيادة القيم) في المجتمع وفضح (المشبوهين)، وحضورهم المتأخر إلى الدوام هو بسبب (مسؤولياتهم الكبيرة) أو كانت بسبب مقال تأخروا في الليل من أجل اتمامه.

إن هذه الهوة بين الثقافة والسلوك اليومي من أكبر العقبات التي تقف أمام تقدم مجتمعاتنا. فالناس لا يتأثرون بما يقرؤون من المثقف بقدر ما يتأثرون مما يشاهدونه من سلوكياتهم..

واذا كان المثقفون لا تنعكس ثقافتهم على سلوكياتهم ولا يلتزمون بالمعايير المتعارف عليها

للسلوكيات الحضارية، فكيف يتوقعون أن يستطيعوا التأثير على الناس؟

التاريخ الشفهي..
تاريخ المسحوقين

يعتبر التاريخ الشفهي أحدَ الروافد الهامَّة في التاريخ البشري؛ فهذا النوع من التاريخ يُعرَف بأنه: (تسجيل وحفظ وتفسير المعلومات التاريخية لأشخاص مهمِّين، أو أشخاص عاصروا أحداثًا هامَّة اعتمادًا على خبراتهم الشخصية، أو ما سمعوه من أحداث)، أو بمعنى أشمل؛ إنه التاريخ المروي عن الآخرين.

ورغم تأخُّر الاهتمام بهذا الجانب لحقب تاريخية طويلة، إلا أن التطورات العلمية والتقنية - خاصة أجهزة التسجيل والحاسبات بأنواعها - ساهمت في إعطائه دفعًا مهمًّا وتطويره خلال العقود الأخيرة.

وحسب التاريخ المكتوب للبدايات المسجلة للتاريخ الشفهي، فقد كانت جامعة كولومبيا السبَّاقة في هذا المجال في عام١٩٤٨م حين أطلقت مشروعًا لتدوين التاريخ الشفهي لمجموعة من الشخصيات الأمريكية؛ بتسجيلهم على أشرطة تسجيل، وذلك على يد المؤرخ في الجامعة (الان نيفنز)، وقد سبق جامعة كولومبيا إدارة رسمية أمريكية في عام ١٩٣٥م سميت Work Progress Administration (إدارة تطوير الأعمال)، حيث قامت بإرسال مجموعات من المحاورين لعمل جولات ميدانيَّة على الناس وطرح أسئلة عليهم حول موضوعات محددة؛ مثل الحرب الأهلية الأمريكية، والعبودية في أمريكا، لكنَّ البعض لا يعتبر هذه الإدارة من مؤسسي -أو رواد- التاريخ الشفهي على اعتبار أهدافها الأساسية كانت بعيدة عن تدوين التاريخ الشفهي نفسه؛ فقد كانت تهدف -بين أمور أخرى- إلى المساهمة في حل مشكلة الكساد الاقتصادي التي سادت العالم بعد الحرب العالمية الأولى.

وفي خمسينات وستينات القرن العشرين قام

عـدد من المؤرخيـن البريطانيين بتسـجيل جانب من التاريخ الشـفهي للطبقة العاملة، ثم تم إنشـاء جمعية التاريخ الشـفهي البريطانية في سـبعينات ذلك القرن على يد بول طومسون.

كمـا قام الأمريكيون بتأسـيس جمعيـة التاريخ الشـفهي فـي العـام ١٩٦٧، وقبـل هـؤلاء -فـي عام ١٩٤٢م- قام أحد المؤرخين، وهو (جوزيف غولد) بعملية جمع التاريخ الشفهي لذلك الزمان، ورغم أنه لـم يقم بإنتاج أو نشـر هذا التاريـخ إلا أنه أعطى نوعا من الشعبية والانتشار لمصطلح التاريخ الشفهي.

وقـد عانـى المهتمون بهـذا النوع مـن التأريخ مـن مقاومة أو رفض له مـن قبل عدد من الأكاديميين والمؤرخيـن لأسـباب ليـس أقلها أهمية عـدم وجود سـند تاريخي تقليدي له؛ فقد اعتـاد المؤرخون على نمـط معيـن مـن المنهجيـة فـي بحوثهـم المرجعيـة كالإشـارة إلى كتـاب تاريخي، أو مجلة أو موسـوعة للإشـارة إلـى حدث ما، مـع ذكر التفاصيـل التوثيقية المعتادة في هكذا موارد.

واعتبر بعضهم أن الاعتماد على مراجعَ شفهيَّةٍ خروجًا على ما اعتادوا عليه، وعلى المسار العلمي في الجانب التوثيقي للتاريخ، وهناك من قال بأنه يمكن قبول ما يتم تدوينه من التاريخ الشفهي كمصدر مساعد أو مكمل، وليس أساسيًّا في كتابة التاريخ. كما كان هناك من حصر الاعتماد عليه في تدوين المجتمعات البدائية أو الأمية أو تاريخ الأقليات أو في تدوين الفولكلور الشعبي لا أكثر، أو في حال فقدان الوثائق الأصلية لحدث ما.

كما إن هناك من تقبَّل تدوين التاريخ الشفهي، لكنه أبقى الباب مفتوحًا أمام قبول أو رفض أي من الروايات التاريخية المنقولة شفهيًّا، ونحاول – في هذه السطور – مناقشة بعض هذه الإشكالات:

أولاً- إن معظم كتب التاريخ المدونة والمنشورة هي شفهيَّة في الأساس، لكنها تحولت إلى مدونة، بعد قيام أصحابها بتسطيرها وتحويلها إلى مشاريع كتب أو مؤلفات بعد أن قاموا بجهود كبيرة لالتقاط معلوماتها من أفواه الناس -أو كانوا

شهودًا على بعض أحداثها في حالات أخرى- ليحولوها إلى كتب تاريخية.

وليس من الصحيح أن جميع المؤرخين قد عاصروا أو حضروا -بشكل شخصي ومباشر- جميع الروايات التاريخية التي كتبوا عنها. وما أسلوب (العنعنة) الذي كان، ولا يزال، مُتَّبعًا في كثير من كتب التاريخ العربية إلا مثالاً جليًّا لذلك.

ثانياً- إن جزءًا كبيرًا من التاريخ الحقيقي للأمم هو في الجانب الشفهي - والذي يهمله الكثير من الكتاب الذين حصروا التاريخ في الجنبة السياسية لا أكثر - عبر تركيزهم على تاريخ الحكام، والخلفاء، ورؤساء الدول، والأمم السابقة واللاحقة، وما يدور حولهم من أحداثٍ سياسية، أو حروب ومعارك، ولا يقومون برصد أو توثيق ومعالجة ما يدور داخل المنازل والأحياء، أو فيما بين الناس وداخل المجتمعات، أو ما يُسمَّى، حديثًا، (الشوارع الخلفية).

إن هذا الجانبَ من التاريخ لا يمكن التقليل

من أهميته، بل إنه قد يمثل، أحيانًا، التاريخ الحقيقي للأمم، وقد يكون تدوينًا لبداية إرهاصات التغييرات المهمة التي تعصف بالمجتمعات، أو الحروب، والأحداث الكبيرة التي مرَّت بالعالم في مختلف حِقب التاريخ.

إن هذه النوعية من المعلومات لا يمكن الحصول عليها من قصور الخلفاء، ورؤساء الدول، والقادة التاريخيين، بل تختبئ في أفئدة سكان العشش، وبيوت الصفيح، أو من يُسمَّون المسحوقين الذين قد لا يلتفت إليهم أحد، والذين قد يُشكِّلون الوقودَ الحقيقيَّ لبعض الثورات، أو الانتفاضات، أو التغييرات الكبرى في التاريخ البشري، وإهمال توثيق رواياتهم الشفوية سوف يشكل نقصًا في هذا التاريخ.

ثالثاً- إن هناك قسمًا من الشعوب، أو المجتمعات - والذين يُسمَّون (المحجوبين عن التاريخ)، لا تستطيع كتابة تاريخها بنفسها لعدة أسباب منها البدائية التي تعيشها، أو الأمية التي

تطغى عليها، أو طبيعة الأعمال التي تقوم بها؛ كعمال المناجم، والبسطاء من المزارعين، وقاطعي الأشجار، أو الحرفيين التقليديين، ولذلك فإن هذا التاريخ الشفهي يسهم في توثيق هؤلاء، ويكشف للبشرية جوانبَ ربما تبقى غائبة عن الوعي التاريخي لولا التاريخ الشفهي.

رابعاً- حتى مع ضعف موثوقية التاريخ الشفهي للأمم، أو حتى انعدامها؛ فإنه ينبغي ترك المجال مفتوحًا للجميع للإدلاء بآرائهم، وسرد طريقة روايتهم للأحداث التي عايشوها، مع فسح المجال للآخرين للرد عليهم، وهذه المنهجية تسهم في تمحيص وإظهار رؤية دقيقة وشاملة لمختلِف الأحداث التاريخية، فحتى مع ظهور بعض الروايات غير الصحيحة لبعض الأحداث؛ فإن ذلك ينبغي أن يدفع الباحثين للبحث في دوافع هؤلاء لإظهار أقوالهم تلك.

كما يمكن اعتبار تضارب الروايات حول حدثٍ مَّا نوعًا من تضارب المصالح، وانعكاسًا

لصراع من نوعٍ مًّا؛ كالصراع الطبقي، أو العرقي، أو القومي، أو الإقليمي في حقبة تاريخيةٍ مًّا، وهذه - بحد ذاتها - جزءٌ من التاريخ الذي يجب أن يكتب.

إن لدينا -في تاريخنا العربي- من المسلمات ما تمَّ التشكيكُ فيه بشكلٍّ كامل، وهو ما لم يقلِّل من أهميته، وقيمته، وأبرز مثال على ذلك التشكيك الذي حصل للشعر العربي الجاهلي، ونسبته إلى قائليه كونه يقع تحت تصنيف التاريخ الشفهي لفترة زمنية محدَّدة على الأقل.

خامساً- يشكك البعض في مدى موثوقية التاريخ الشفهي من ناحية تذكر - أو عدم تذكر - رواتها للأحداث بتفاصيلها؛ فالتاريخ الشفهي مرتهنٌ، إلى حدٍّ كبيرٍ، بالذاكرة الشخصية للراوي، أو الرواة؛ حيث التناسب العكسي الذي غالبًا مًّا يحصل بين الفاصل الزمني الذي يفصل الحدث، ووقت رواية الحدث، ودقة الرواية، وهذا الإشكال حقيقي حتى بالنسبة للأحداث القريبة فكيف بالبعيدة؟

كما إنه وارد جدًّا حتى للمؤرخين، وكتاب

التاريخ الذين يؤرخون لأحداث عاشوها أو سمعوا بها.

إن الكثير من الأحداث التاريخية لم يتمَّ توثيقها، أو تدوينها لأسباب متعددة؛ قد يكون منها خوف الناس من تأريخ تلك الفترة، أو حتى مجرد الحديث عنها بسبب ظروف قمعية معينة يعيشها الناس، أو يتصورونها في أذهانهم على الأقل لفترة زمنية معينة، حتى تتغير الظروف السياسية لديهم، مما يشجعهم على الحديث الصريح عن تلك الحقبة.

كما إن وقوع الحروب والتخريب والتدمير المتعمد، أحيانا، يتسبب في اندثار الكتب، والمؤلفات، والوثائق عن تلك الفترة، ويأتي التاريخ الشفهي ليحل هذه الإشكالية، ويسدَّ هذه الثغرة في التاريخ البشري.

إن التقليل من أهمية التاريخ الشفهي قد يخرجنا من إشكالية الثقة فيه، ليقحمنا في إشكاليات أخرى قد تكون أخطر، ومنها الاعتماد على روايات الرحالة الأجانب الذين كانوا يجوبون بلاد العرب

في فتـرات الانحطـاط التاريخي، مع مـا يخالط هذه الروايـات مـن نواقص، وسـلبيات وأخطـاء حتى في ذكر أسماء المدن والقرى والبلدان العربية.

وعندمـا نتحـدث، بشـكل علمـي، فإنـه لا يمكننـا التقليـل مـن أهمية هـذا النوع مـن التاريخ ما دام موجـودًا، مـع الأخذ بتقاليـد وأدوات وإجراءات ومعايير هذا النوع من التاريخ، وهي أمور يتم تطبيقها حاليًّـا في الغرب، وتـم الاتفاق حتى علـى إجراءات حقوق الملكية الفكرية لهذا النوع من التاريخ.

نعم يجب أن تخضع روايات التاريخ الشـفهي للتمحيـص والغربلـة، لكن لا يحسـن الحـطُّ من أي روايـة أو قصـة تاريخيـة، شـفهية كانـت أو مدونـة، ومهما قل شأن من قام بذكرها، أو أهميتها في السياق التاريخـي العـام، وذلـك حفظـا لهـا مـن أن تُمحـى مـن ذاكـرة الزمن، وحفظًـا لحقوق المسـحوقين، أو المحجوبين عن التاريخ.

لنعطي مزيدا من القيمة للثقافة

يسعى المرء أينما كان إلى الرقي بوضعه الإجتماعي بمختلف الطرق. وعنما يجد سبيلا إلى ذلك لا يتردد في أن يسلكه أو يأخذ بأسبابه.

لكن كيف يقوم المرء بذلك؟

إنه يقوم بالبحث عن الأشخاص البارزين في المجتمع لكي يحذو حذوهم. وهو هنا يبحث عن أكثرهم بروزا وأسهل الطرق إلى ذلك.

فهو مثلا ينظر إلى أصحاب رؤوس الأموال والتجار ويرى ما يحظون به من مكانة عالية في المجتمع واحترام وتقدير ومن قدرتهم على تلبية

احتياجاتهم الحياتية، فيحاول أن يصبح تاجرا حتى يستطيع أن ينال الإعجاب من طبقات المجتمع ويصبح رقما فيه.

وكذلك عندما يرى مكانة لاعبي كرة القدم والرياضيين بشكل عام والشعبية التي يحظون بها والأموال التي يحصلون عليها، فيكون طموحه حينذاك أن يصبح رياضيا. وعندما يرى مكانة المدير الذي يصدر الأوامر والنواهي على مرؤسيه فهو كذلك يطمح إلى أن يكون ذلك.

وهكذا فإن ارتفاع مكانة شريحة اجتماعية في المجتمع يحفز عموم أبناء المجتمع على التأسي بها وتقليدها. وإذا كان لنا أن نطمح بأن نعدل من توجهات مجتمع ما نحو القيم المعنوية، فإنه ينبغي أن نفكر في رفع شأن الثقافة والمثقفين، والفكر والمفكرين فيه بمختلف الطرق، وهو الأمر غير الموجود بالفعل حاليا في المجتمعات العربية، بل ربما يكون العكس هو الصحيح كما يقول أحدهم (كلما ازدد المرء ثقافة ازداد تعاسة)، أو كما يقول آخر (إن الكتابة لا توكل عيشا).

عندما ينتشر في المجتمع خبر أن أحد المثقفين أو الأدباء يبحث له عمن يعالجه في مستشفى حكومي أو عام، أو يبحث عمن يرسله إلى مستشفى في الخارج لعلاجه، وفي المقابل نرى شرائح اجتماعية أخرى تسافر إلى الخارج للعلاج من نزلة برد أو لتسكين ألم في الأسنان، فعلينا حينها ألا نتوقع أن يتمنى الكثيرون في مجتمعنا أن يصبحوا قارئين أو مثقفين أو مفكرين أو علماء في الفيزياء أو الكيمياء أو علوم الحاسب أو الذرة.

فما سيتبادر إلى أذهان من يبحث عن قدوة له في المجتمع أنه سوف يصبح عالة على غيره عندما يسلك هذا الطريق، بينما هناك طرق أخرى أسهل وأفضل من هذه.

ولا أريد هنا أن أقلل من شأن الشرائح الإجتماعية الأخرى كالتجار ولاعبي كرة القدم، بل أريد أن أساهم في خلق توازن في التوجهات الوظيفية أو الحياتية في مجتمعاتنا.

نريد أن نوجد توجهات تهتم بالجوانب الفكرية

والتنظيرية والعلمية والثقافية في المجتمع، وكذلك المهتمة بالكتاب والمجلة والقراءة بشكل عام.

فما أحلى أن نرى كاتبا مرتاحا من الناحية المالية، وما أجمل أن نرى صحفيا مليونيرا، وما أروع أن نرى مهتما بالشأن العام في مجتمعه في وضع نموذجي.

فهل هذا ممكن التحقق؟

أم إن الفقر مكتوب على هذه الشريحة؟

عن السلم الاجتماعي

يعتبر الاختلاف بين بني البشر سنة كونية ثابتة لا يمكن تجاوزها بل ينبغي البناء عليها من أجل تنمية وتطوير العلاقات الإنسانية..

ومهما حاول الإنسان إنهاء هذه الاختلافات فإنه لن يستطيع في ظل الظروف العادية، إلا عبر القمع والإرهاب السلطوي الذي قد يجبر الناس على الظهور بمظهر المتفقين على رأي واحد ومنهج واحد خلاف واقعهم الحقيقي.

كان الناس في واحدة من الدول التي كانت تظهر وكأنها على قلب رجل واحد، كان الناس في كل مكان فيها تقريبا يتوقفون عن كل نشاط في

الساعة السابعة صباحا ليمارسوا التمارين الرياضية في وقت واحد في جميع أرجاء الوطن على أنغام موسيقى موحدة. وكان المنظر يبدو مهيبا والوحدة الوطنية فيه متجسدة. إلا أن أمثال هذه الحالة لا تلبث أن تزول بزوال المؤثر. وقد عايشنا جميعا ما كانت تظهر به مجتمعات الدول الشيوعية قبل سقوط الإتحاد السوفييتي، وما آلت إليه بعد ذلك من تشرذم وانقسام إلى دول متعددة ومتحاربة بعد أن كانت تبدو كدولة واحدة..

إن الإختلاف هو إحدى النواميس الكونية التي لا يمكن أن تزول. ويقرر الباري عز وجل ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[١].

ولأن الاختلاف كذلك كان من الضروري أن نتعامل معه بإيجابية، وهو ما يدعونا إليه ديننا الحنيف، كما تتطلبه ضرورات التعايش بين مختلف أطياف وفئات ومذاهب العالم الإسلامي. وإن تحقق

(١) سورة هود، الآية ١١٨ - ١١٩.

التعايش بين مختلف فئات المجتمع وسيادة مفهوم قبول الآخر يساهم في توفير الأمن والاستقرار في المجتمع وهو ما يعود عليه بمزيد من التطور والرفاه بدل الانشغال في الخلافات والصراعات، ومحاولة توحيد المواقف والآراء.

ماذا لو لم نقبل بالتعايش بين فئات واتجاهات ومذاهب المجتمع؟ الخيار الآخر هو حصول ظلم وحيف بحق فئة ما في المجتمع مقابل حصول أخرى على الحظوة مما قد يدفعها إلى الاستعلاء والغرور، وهو بدوره سيخلق الضغينة في الفئة المظلومة مما قد يجعلها تتوجه نحو فئات داخلية أو خارجية للإستقواء والكيد من الفئة الظالمة أو من الدولة التي تعرضوا للظلم تحت نظامها.

إن ذلك سوف يدخل المجتمع في دوامة من الكيد والكيد المضاد وهو ما سيشغله عن أهدافه الأخرى في البناء والتنمية والعطاء الذي يرفع من شأن المجتمع والأمة بين سائر الأمم.

دروس من القمامة اليابانية

أبدع بالفعل أحمد الشقيري المذيع في قناة ام بي سي عندما توجه إلى اليابان هذا العام ليأتينا بدروس حول التجربة اليابانية وثقها في برنامج تحت عنوان خواطر. وأكثر ما لفت نظري في حلقاته اليومية بعض الحلقات عن النظافة والتعامل مع القمامة وعمال النظافة هناك.. ففي إحدى هذه الحلقات قال الشقيري بأنه يتم اختيار هؤلاء العمال من بين عدد من المتقدمين وتجرى لهم اختبارات عدة منها اختبارات شفهية وتحريرية، ثم يتم اختيار الناجحين منهم فقط! وأضاف الشقيري بأن رواتبهم يمكن أن تصل إلى نحو ١٠٠ ألف دولار في العام أي ما يعادل أكثر من ٨٠٠٠ دولار في الشهر! وأرجع

السبب في ذلك إلى عدة أمور منها الاهتمام المفرط بالنظافة والصحة هناك، إضافة إلى إعطائهم بدلات طبيعة عمل بدل معاناتهم في التعامل مع القمامة. لكن المذيع القدير يفاجئنا عندما يتحدث عن رائحة القمامة اليابانية، حيث يقول بأنها بلا رائحة. ويعيد السبب في ذلك إلى عدم خلط السوائل بالأطعمة الفائضة، وهو الأمر الذي يتسبب بالرائحة الكريهة التي تنبعث من القمامة، حيث يقومون بتدريب الصغار على إفراغ السوائل من العلب قبل رميها في القمامة، وذلك قبل دخولهم المدرسة. وقد عرض الشقيري في حلقة أخرى مشاهد لطلاب وطالبات يابانيين - جنبا إلى جنب معلمي المدارس - ينظفون مدارسهم حيث يخصص لهم ربع ساعة يوميا لذلك. وظهر الطلاب والطالبات وهم سعداء بعملهم هذا دون تكبر يشجعهم على ذلك موسيقى مناسبة. ويعلق المذيع على هذه الخطوة - التي دعا إلى تطبيقها في بلداننا العربية - بأن الطلاب والطالبات الذين يقومون بتنظيف فصولهم الدراسية سوف يكونون أكثر حرصا على المحافظة على نظافتها

ونظافة مجتمعهم في المستقبل.

وأوضح الشقيري في حلقاته الجميلة كيف يعامل اليابانيون عمال النظافة باحترام كامل حتى إنهم يسمونهم (مهندسو صحة) Sanitary Engineers ويحظون بالتقدير من قبل الناس. وتتميز السيارات التي يستخدمها (مهندسو الصحة) لجمع القمامة بأنها أنيقة ونظيفة لا يتأفف منها أصحاب السيارات الأخرى عند المرور بالقرب منها، كما هو الحال في كثير من بلداننا العربية. ومبالغة في إظهار الاحترام لهذه السيارات من قبل الناس فقد قام اليابانيون بتصنيع سيارات صغيرة شبيهة بها كألعاب أطفال. ولا أظن أن أحدا من أصحاب مصانع ألعاب الأطفال لدينا سوف يجازف بتجارة من هذا النوع حيث الخسارة مضمونة. كما قال الشقيري بأن بلديات اليابان قد خصصت نماذج تعليمية من سيارات جمع القمامة لتعليم الطلاب والطالبات ثقافة النظافة ومعاناة جامع القمامة والخطوات التي يقوم بها من بداية جمعه لها إلى التخلص منها. وظهر في البرنامج تصوير لمنزل أحد جامعي القمامة اليابانيين وهو يحتوي على

جميع الاحتياجات الأساسية وحتى الكمالية مقابل منزل نظيره العربي الذي يسكن في المقابر!

إنها مفارقة حقيقية بين الحياة في اليابان وفي غيرها، وبين جامعي القمامة هناك وفي بلادنا. بل إن المقارنة صعبة جدا بين الطرفين، لا بل صعبة حتى بين جامعي القمامة هناك والموظف الجامعي في بلداننا[1].

(١) نشر في جريدة الدار الكويتية - ١٤-٩-٢٠٠٩م.

عيد أشمل.. عيد أفضل..

يقال بأن للفرح والسعادة إشعاع خاص يمكن أن يتسلل وينتشر من شخص إلى آخر بدون استئذان، بل إنه يمكن أن يغمر منزلا بالكامل حتى إذا لم يظهر أحدا من سكانه الفرح أو السعادة. ويسمي البعض ذلك (الهالة) وهي تلك الطاقة (موجات كهرومغناطيسية) أو الشعور الذي يُحيط بالفرد من فرح أو حزن أو سعادة أو شقاء. هذا ما يقوله بعض المتخصصون في العلوم النفسية أو في علوم الطاقة. ولذلك فإنه وكلما انتشر الفرح والسعادة والسرور في مكان ما كلما ازداد الشعور به لدى المتواجدين في ذلك المكان، حتى لو لم يكن هناك دافع حقيقي لتلك المشاعر.

هـذه المقدمـة رأيتهـا ضروريـة لأدخـل إلـى موضوع العيد والشعور بالسـعادة والفرح فيه. حيث نجد أن هناك من يرى بأن الاستمتاع بالعيد هو للصغار فقـط، أو للخالين من المشـاكل.. وهي مقولة تنتشـر بين البعض عندما تتراكم لديهم الهموم والمشكلات فيتخيلـون بأنهم أبعد ما يكونون عن السـعادة والهناء وراحة البال أو أنهم قد أخذوا قسطهم من فرحة العيد في أوقات سابقة من حياتهم. لكن الأمر يبدو مختلفا مـن وجهة نظـر الكثيريـن خاصـة المتفائليـن منهم. فالعيـد وجـد للجميـع وللجميـع أن يستمتع به دون فـارق بين أحـد. وفي تعريف العيد بأنه سـمي كذلك لأنـه يعـود علينا كل عام بفرحة جديـدة، ولأن الناس فيه يعود بعضهم بعضا.

وفـي الشـريعة الإسـلامية هنـاك دعـوة لأن يكـون العيـد للجميـع عبـر بعـض التشـريعات التي تدفع إلى ذلك بشـكل مباشـر أو غير مباشـر. منها أن الإسـلام أوجب وبعـد الانتهاء من الصيـام دفع زكاة الفطـر للمسـتحقين، وذلـك مـن أجل رسـم الفرحة والسـعادة علـى وجـوه الجميـع دون فـرق. فالفقيـر

يفرح بالمساعدات التي يحصل عليها، والغني يفرح بتقديمه ذلك للفقراء. كما أن الإسلام أيضا أكد على استحباب ذبح الأضاحي في عيد الأضحى وتوزيع لحومها على الفقراء من أجل أن يكون العيد للجميع، ومن أجل تحقيق مبدأ (التكافل الاجتماعي).

ويعود ذلك إلى أن الشعور بالسعادة مثل أكثر المشاعر الإنسانية هي مشاعر جماعية، تتزايد وتتعاظم إذا ما توسعت مساحاتها وتحولت إلى جماعية. فالواحد منا يشعر بالسعادة أحيانا عندما يرى حتى أناسا لا يعرفهم يبتسمون ويضحكون، والعكس بالعكس قد تنقبض نفسيته إذا ما شاهد مظاهر للحزن لديهم. وقد تنبه إلى هذا بعض منتجي المسلسلات الأجنبية الكوميدية الذين قاموا بإضافة أصوات أناس يضحكون إليها، وذلك حتى يستدرجوا الضحك والابتسامة من المشاهدين.

ولذلك فإننا وعندما ننشر مظاهر العيد والفرح بين الناس، ونتنصل من مشاعر الأنانية عبر مزيد من التواصل والتراحم والتكافل الاجتماعي، فإن ذلك

ســوف يعود علينا بمزيد من الفرح والسعادة، وهو ما سنقوم به نحن أيضا بدورنا للآخرين شئنا أم أبينا..

فإلى مزيد من الفرح السـعادة والتمتع بمظاهر العيـد صغـارا وكبـارا، أغنيـاء وفقـراء حتـى تتحقق المقاصد الحقيقية للعيد. فبالتأكيد إن عيدا أشمل هو عيد أفضل.

نحو استثمار في المعلوماتية

عندما يفقد بلد ما الموارد الطبيعية للثروة، فهو أمام خيارين إما أن يستسلم للفقر فيستجدي دولا غنية من أجل استنقاذه منه، أو أن يفكر في استثمار عقول أبنائه من أجل النهوض ووضع نفسه على سكة الأمم المتحضرة..

وفي السنوات الأخيرة برزت إحدى البوابات الهامة لاستنقاذ الأمم الفقيرة من فقرها حتى مع جدب الموارد الطبيعية لديها، ألا وهي بوابة المعلوماتية.. فهذه البوابة التي لها جانبان: الأول تصنيعي وهو المرتبط بصناعة قطع الكمبيوتر ومعداته، وهو جانب على أهميته، فهو بحاجة إلى بعض المواد التصنيعية

الأوليـة ورؤوس أمـوال قـد لا تتوفـر بسـهولة لـدى بعض الدول، كما أنها بحاجـة إلى معرفة تكنولوجية عالية وبنية تحية قوية. أما الجانب الثاني فهو الجانب البرمجـي والـذي يحتاج إلى إعداد عقـول وتوظيفها التوظيف المناسب.. وهذا الإعداد يحتاج إلى مناهج دراسـية مناسـبة ومعاهد لإعداد هذه العقول تعلمهم عدة مهارات كمهارة البرمجة والتعامل المحترف مع الحواسيب وتقنيات الإنترنت.. وهي علوم لا تأخذ من الوقت الكثير لتعلمها، كما أنها لا تتطلب رؤوس أموال عالية..

وقـد تمكنت بعض دول العالـم من التنبه لهذه البوابـة الهامة حيث انتشـلت نفسـها من قعـر الفقر.. ومـن هـذه الـدول الهنـد، الدولـة التـي مهمـا زادت مواردها الطبيعية فإنهـا بحاجة دائمة للمزيد من أجل إطعام أكثر من مليار بطن.

وقد توجهت الهند لهذا الأمر مبكرا واستطاعت أن تقفـز بصادراتهـا البرمجيـة ومن منتجـات تقنيات المعلومـات بشـكل عام مـن ١٥٠ مليـون دولار في

العام ١٩٩١-١٩٩٢، إلى ٧,٥ مليار دولار في العام ١٩٩٩ - ٢٠٠٠م، إلى أضعاف هذا الرقم حاليا. وبلغت نسبة نمو سوق البرمجيات فيها ٥٠٪ سنويا، وشكلت نسبة هذه الصادرات ٣٥٪ من مجموع صادراتها. كما استطاعت أن تضخ أكثر من ٦٠٠٠٠ مبرمج سنويا إلى سوق البرمجيات العالمي في كل من اليابان والولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا والمملكة المتحدة. ويجد عشرات آلاف الهنود يعملون حاليا في الهند، لكن لحساب شركات أميركية، حيث تبقيهم الشركات الأميركية في الهند لتوفر على نفسها نفقات النقل والسكن. ويقوم هؤلاء إما ببرمجة أجهزة الحاسبات، أو بخدمة العملاء في أنحاء العالم هاتفيا عبر الإنترنت وهم في الهند.

إن هذه الصناعة تشكل منجما هاما من مناجم العلم والثروة التي يمكن لأي شعب أن ينقب فيها، ولا يوجد شك في أنه سوف يكتشف ثرواتها إذا ما توافرت الإرادة والقدرة والتخطيط السليم، خاصة أن الحاجة العالمية للمبرمجين وحدهم يزيد على المليونين حاليا.. ولذلك فإن التوجه نحو هذا الجانب

من قبل المؤسسات التعليمية الرسمية منها والأهلية السعودية، أصبح أكثر أهمية، فضلا عن جدواه الاقتصادية. كما أننا ندعو أبنائنا خريجي الثانوية العامة في المملكة إلى التوجه نحو هذه التخصصات الهامة والتي لا يحتاج بعضها أحيانا سوى إلى جهاز حاسب واتصال بالإنترنت[1].

(١) نشر في جريدة اليوم السعودية.

هل الحكومة الإلكترونية مجرد حواسيب؟

يتم الحديث بين الفينة والأخرى عن الحكومة الإلكترونية وضرورة تطبيقها في مختلف الإدارات الحكومية في المملكة.. لكن الحديث يتركز على الجانب التقني من الموضوع وهو جانب التجهيزات الإلكترونية من أجهزة حواسيب وملحقاتها وبنية تحتية للاتصالات.

لكن هناك جانبا آخر للقصة ألا وهو الجانب الإداري أي القوانين واللوائح المنظمة لعمل الحكومة الإلكترونية والخطوات الإجرائية لإدارة الأعمال الحكومية والتعامل مع المراجعين الكترونيا.. فعندما

تكـون عقليـة المديـر تقليدية وقـد اعتاد علـى النظم البيروقراطيـة والروتين القديم لسـنوات طـوال، فإنه يصعـب عليه الانتقال إلى أسـلوب آخر كالأسـاليب الإلكترونيـة. ولذلـك فإننـا نلاحـظ انـه وبعدمـا تـم (مثلا) تطبيق إرسال التعاميم في بعض الوزارات عبر البريد الإلكتروني بدلا من إرسالها يدويا عبر مراسل، لـم تجـد تلـك الدوائر بـدا من طباعـة تلـك التعاميم وتوزيعهـا على الموظفيـن بأعدادهم وأخذ تواقيعهم على استلامها. وفي هذا المثال نجد أن جل ما تحقق في الموضوع هو توفير الجهد على المراسـل العادي الـذي كان يتكفل بإيصال تلـك التعاميم إلى مختلف الإدارات الحكوميـة، ولم يتم هنا حتـى توفير أوراق الطباعة.

إنـه ورغم أهمية الجانـب التقني في الموضوع إلا أن الجانـب الآخـر (وهـو الإداري) إذا لـم يتغيـر عبـر قوانين ولوائـح تفصيلية فـان النتيجة لـن تتغير، بل ربما تزداد سوءا وذلك بخسارة توفير أعداد كبيرة مـن أجهزة الحواسيب التي لن تبقى سـوى ٣ إلى ٤ سـنوات حتى تصبـح قديمة ويجـب تبديلهـا بما هو

أحدث منها.

إن من النقاط ذات الأهمية الجوهرية كذلك في الحكومة الإلكترونية هو تدريب الموظفين (والكبار منهم بالضرورة) على استخدام التقنية الحديثة وقبلها إقناعهم بها لأن أهم عائق يقف أمام تطبيق نظم الحكومة الالكترونية هو حالة الرفض لها. والرفض قد لا يعني عصيان الأوامر باستخدامها مثلا، بل هو العزوف النفسي عنها وعدم الاقتناع بها[1].

(١) نشر في جريدة الجزيرة السعودية.

(الفيس بوك) كسلاح اجتماعي

لا يمكن للمصلحين وأصحاب الرسالات الاجتماعية الجمود على الأساليب القديمة في التغيير والإصلاح.. فبينما تتطور أساليب الإغواء والإفساد، فإنه ينبغي أن يواكب ذلك تطور في أساليب مقاومتها. ومن هذه الأساليب الاستفادة من التطور الكبير في عالم الشبكة العنكبوتية..

وتعتبر مواقع الشبكات الاجتماعية - التي ظهرت في السنوات الأخيرة - واحدة من أقوى الجوانب التي يمكن الاستفادة منها.. فهذه المواقع التي تهدف إلى تعزيز الروابط الاجتماعية بين الناس عبر الإنترنت، وجدت لها شعبية كبيرة فاقت الكثير من الجوانب الأخرى في ذلك العالم. ومن أهم هذه المواقع موقع الفيس بوك Facebook

الذي بـدأ بتأسيسـه الطالـب الجامعي (مـارك زوكربيرغ) بهـدف توثيـق العلاقـات بيـن طـلاب جامعـة هارفـارد الأمريكيـة، ثـم ما لبث أن توسـع إلى جامعـات أخرى في الولايـات المتحدة، ثم إلى عامة النـاس، حتى وصل عدد المشتركين فيه إلى ٣٠٠ مليون مشترك، وهو ما يفوق عدد سكان الولايات المتحدة الأميركية.

وتتلخص فكرة موقع (فيس بوك) في أن المشـترك فيه يكتب معلومات عن نفسه مرفقا بها صورته وجانبا من جوانب حياته كدراسته أو عمله، ثم يقوم بدعوة مجموعة مـن أصدقاءه للانضمام إليه كأصدقـاء على ذلك الموقع. ومع انضمام أي شـخص لآخر كصديق، يمكنه أن يتعرف علـى أصدقاء ذلك الشـخص علـى الموقع. وهكـذا فإن لجميع أصدقاء مشترك ما أن يتعرفوا على بعضهم البعض (طبعـا إن رغبـوا في ذلك)، كمـا يمكن للأصدقـاء تبادل الأخبـار والمعلومـات والأحداث فيما بينهم، والتشـارك في بعـض المناسـبات. ويمكنهـم كذلك كتابـة أفكارهم وانطباعاتهـم علـى مـا يسـمى (حائـط الكترونـي) يمكن للآخريـن قراءتـه، وإبـداء الإعجاب بـه أو التعليـق عليه. ومـن خصائص هذا الموقع كذلك أنه يمكن لأي عدد من

المشتركين أن يتكتلوا فيما بينهم فيما يسمى (مجموعات) تكون مهتمة بموضوع ما، ويقومون بدعوة آخرين للانضمام إليها. وتتناسب أعداد الملتحقين بمجموعة ما طرديا مع أهمية وشعبية موضوع المجموعة. ومع ازدياد مشتركي الإنترنت في العالم العربي ازداد عدد المشتركين في الموقع عربيا، وازدادت معه أعداد المجموعات العربية والتي تنوعت من مجموعات ذات اهتمامات تافهة إلى أخرى ذات أهداف اجتماعية وسياسية.

ولذلك فإنه يمكن استغلال هذه الميزة في الموقع ودعوة الآخرين للانضمام إلى المجموعات ذات الأهداف السامية والكتابة عن القضايا الاجتماعية في صفحات - أو على حيطان - تلك المجموعات. فيمكن مثلا تأسيس مجموعة لمحاربة ظاهرة اجتماعية سيئة، ودعوة مشتركي الموقع للانضمام إليها، وكتابة آرائهم حول أسباب هذه الظاهرة وسبل التخلص منها، أو قراءة ما يكتبه الآخرون عنها. كما يمكن تأسيس مجموعة للتشجيع على الظواهر الإيجابية مثل القراءة والنظافة والتعاون ومواصلة التعليم العالي. ومن المجموعات العربية الإيجابية على موقع (فيس

بـوك) مجموعة (كتابي كتابك) التي تهدف إلى تجميع الكتب الزائدة عن الحاجة في العالم العربي وتوجيهها إلى من يحتاجها. وهناك عشرات المجموعات العربية المتخصصة (مثلا) في محاربة الفقر والجهل والتحرش الجنسـي والـذي فـاق عـدد أعضـاءه الآلاف الثمانية. وهناك عشـرات بل مئات المجموعـات داخل الموقع في مختلف التوجهات الثقافية والاجتماعية والسياسية المتنوعـة، والتي يمكن لكل من لديه بريد الكتروني أن ينضـم إليها، أو يمكنه أن يؤسـس مجموعـات جديدة ترضـي ميوله ويدعو الآخرين إليهـا. وعليه فإن الفيس بـوك الذي أسـس لأهـداف محـدودة تحول إلـى أداة يمكن لمن يستثمرها أن يحدث التغيير الذي ينشده في مجتمعه المحلي الصغير أو القرية العالمية.

وقـد تـم تصميـم الموقـع بحيـث يمكـن تأسـيس المجموعـات فيـه بخطـوات سـهلة ومعدودة، كمـا يمكن الانضمام إلى أي مجموعة بضغطة واحدة من فأرة الحاسب والإطلاع على موضوعات المجموعة والكتابة فيها[1].

(١) نشر في جريدة الدار الكويتية - ١٣- ١٠ ٢٠٠٩م.

الخجل يزيد من انتشار الإيدز

قد يكون الخجل محمودا في كثير من الحالات والمواقف، لا بل مطلوبا في كثير منها، لكنه يعتبر منبوذا عندما يتعلق الأمر بمرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز). فهذا المرض الذي يصيب شخصا واحدا كل ٦ ثواني و ١١ شخصا كل دقيقة و ١٧٠٠٠ كل يوم، يساهم الخجل منه في زيادة حدة انتشاره. فالشخص المصاب بالإيدز والذي يتدثر بالخجل يساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في انتشار المرض، لأن الخجل يدفعه إلى إخفاء إصابته بالمرض وعدم ذهابه إلى الطبيب لطلب المساعدة والعلاج، وهو يعني تدهور حالته الصحية والتبكير

في وفاته. كما أنه بعدم ذهابه إلى طبيب فلن يتعرف على سبل منع انتشار المرض وانتقاله إلى آخرين من المقربين إليه.

ويسهم المجتمع أحيانا في تفاقم انتشار المرض بسبب النظرة الخاطئة إلى المصابين به.. فالوصم الذي يقوم به البعض تجاه المصابين بالإيدز يدفع هؤلاء إلى تجنب إخبار الآخرين بإصابتهم به خوف ما يسمى (الفضيحة) أو ووصمهم بالمرض.

ويبرر البعض استخدامه الوصم بردع الآخرين من الوقوع في هذا المرض! فالحملة ضد المصابين بالمرض (حسب قولهم) سوف تسهم في منع الناس من الوقوع في فخ العلاقات الجنسية المحرمة وبالتالي حسر انتشار المرض! متناسين بأن المصابين به ليسوا جميعا من صنف واحد.. فهناك من أصيب به في علاقة زوجية شرعية لطرف واحد فقط مذنب، بينما الطرف الآخر بريء وانتقل المرض إليه من زوجه. وهناك من أصيب به من حلاق لا يعقم أدواته أو من طبيب أسنان مهمل. وهناك من

الأطفال من انتقل إليه عند الولادة، كما أن هناك من انتقل إليه المرض نتيجة عملية نقل دم من شخص مصاب، أو نتيجة استخدام إبرة حقن للمخدرات. وهذا السبب الأخير للإصابة بالمرض رغم خطورته وخطأه، إلا أنه لا يجوز أن يعير بإصابته بالمرض من علاقة جنسية محرمة، فهو مخطىء مذنب لكن لسبب آخر. صحيح بأن النسبة الكبرى من المصابين قد يكونون أصيبوا بسبب علاقات غير شرعية، لكنه من غير الإنصاف ظلم النسبة الصغرى من المصابين بالمرض إجبارا عبر الوصم، فضلا عن سلبيات هذا الوصم على سلوكيات المصابين. فالوصم يؤدي إلى إخفاء الإصابة بالمرض، وهو ما يؤدي إلى زيادة رقعة انتشاره.

إن المطلوب هو نظرة عقلانية إلى المرض والمرضى المصابين به تحد من معدلات الإصابة به، وليس مجرد التشفي منهم والحديث (فقط) عن كون ذلك عقاب إلهي عليهم.

الإيدز ومعضلة مكافحته

يعاني العالم اليوم من انتشار مرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز) في مختلِف المناطق بعدد يُقدَّر بحوالي ٤٠ مليون مصاب، وكان أول اكتشاف لفيروس نقص المناعة المكتسب (الإيدز) في العام ١٩٨١م في أوساط المثليين في الولايات المتحدة الأمريكية، لكنه ما لبث أن انتشر في كافة أنحاء العالم. وينتشر الإيدز عبر عدة وسائل منها:

* العلاقات الجنسية المتعددة دون استخدام الواقيات الذكرية.
* نقل الدم الملوَّث بالفيروس.
* استخدام الإبر الملوثة بالفيروس خاصة عند

استخدامها في تعاطي المخدرات.

* انتقال الفيروس من الأم إلى الجنين عبر الحبل السري، أو الإرضاع الطبيعي من أمٍّ مصابة.

* عبر أدوات الحلاقة، (أو أدوات أطباء الأسنان) غير المعقمة.

وقد انتشر الفيروس بشكل كبير في بعض الدول إلى حدٍّ يمكن معه إطلاق لفظ (الوباء) عليه، والمشكلة التي تواجه العالم مع هذا المرض هي أنه لا تقتصر الإصابة به على المجرمين والشاذين ومدمني المخدرات، بل يتجاوزهم إلى أبرياءَ ربما لا علاقة لهم بأي ذنب سوى الصدفة، أو القدر الذي ساقهم إلى المرض، أو ساق المرض إليهم؛ مثل الأجنَّة في بطون أمهاتهم، والأزواج إلى بعضهم البعض، وكذلك حالات نقل الدم المصاب إلى أبرياء، أو انتقال المرض من عيادة أسنان، أو من حلاق لا يقوم بتعقيم أدواته.

ورغم تكاتف عدد من المؤسسات المحلية

والإقليمية والدولية لوقف انتشار المرض إلا أن هناك عددا من العقبات التي تقف في وجه ذلك؛ من أهمها ثلاث مشكلات هي: الإنكار والوصم والتمييز ضد المصابين بالمرض.

فبالنسبة للإنكار، قام عدد من الخبراء بدراسة سرعة انتشار المرض في مختلف البلدان، فتوصلوا إلى عدة نتائج منها أن المرض يبدأ في الانتشار في بلد ما بشكل خفي جدًّا بحيث يصعب ملاحظته، وتنحصر الحالات التي يتم اكتشافها في الصدفة لا أكثر، حيث يتم اكتشاف الإصابة به عرضا عند فحص المريض بأمراض أخرى. وتسمى هذه المرحلة بـ(مرحلة اللاوعي)، وفي هذه المرحلة تقدر نسبة الإصابة بالمرض في مجتمع ما بحوالي واحد في المائة فقط حسب الإحصاءات الرسمية المقدرة في البلدان محل الدراسة، لكن هذه النسبة غالبا ما تكون كاذبة، لا يكشفها سوى زيادة عدد حالات الإصابة التي ترجع إلى وزارات الصحة في تلك البلدان. عندها تأتي (مرحلة الإنكار) والتي يحاول فيها مسؤولو الصحة في ذلك البلد - أو أي جهة أخرى

(يمكـن أن تكـون سياسـية) - التغطيـة علـى ذلـك، ومحاولـة إنـكار الإصابـة به لعـدة أسـباب وعوامل منهـا محاولـة عدم إظهـار تفشـي الزنـا أو العلاقات غير الشـرعية فـي ذلك البلـد أو حتى انتشـار تعاطي المخدرات باستخدام الحقن الطبية. كما يشجع ذلك بعـض الفهم المغلوط للدين حيث يتم توظيف بعض الأدلة الشرعية لدعم حالة الإنكار كالآية القائلة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا..﴾.

لكن هـذه المرحلـة غالبا ما تنقشـع عندما تتم ملاحظـة ازديـاد حـالات الإصابة بالمـرض من قبل حتى غير المتخصصين ليصل ذلك البلد إلى (مرحلة الصدمة) التي يعقبها نوع مـن التحركات الفردية غير المنظمة في المجتمع، في وقت تكون حالات الإصابة فيـه وصلت إلى حد لا تكفي معه هذه التحركات، بل هي بحاجة إلى حركة جماعية منظمة، وعلى مختلف الصعد الشعبية والرسمية. بل إن المستويات الرسمية قـد لا تكفيها جهود وزارات الصحـة (إدارة الإيدز)، بـل تتخطاها إلى (هيئة وطنية للإيـدز)، ثم إلى وزارة للإيدز كما في بعض دول العالـم.

إذن، فعادةً مَّا ترافق بداية انتشار الفيروس – في بلدٍ مَّا – حالة من الإنكار له كونه مترافقا مع حالة من الشعور بالعار، أو نوعا من إثبات انتشار عدم العفة في ذلك البلد، ولعمري لو علم هؤلاء المنكرون تبعات هذا الإنكار لتركوه إلى ما سواه.

إن حالة الإنكار تعني، فيما تعنيه، عدم الاعتراف بوجود المشكلة، وهو ما يستتبع عدم أخذ الاحتياطات اللازمة لمنع انتشار المرض، مثل العفة الجنسية، وتشجيع استخدام الواقيات الذكرية، وتأسيس جمعيات دعم لمصابي الإيدز، ويمكن اعتبار الإنكار نوعا من المكابرة لا ينهي المشكلة بل يؤجلها إلى الوقت الذي يصعب فيه السيطرة عليها.

أما بالنسبة للوصم والتمييز فهما سلاحان يتم استخدامهما ضد المصابين بالإيدز بهدفٍ نبيل، وهو تقليل الإصابة بالمرض، ويعتقد من يقوم بهذين الأمرين أنه – بذلك – إنما يساهم في تقليص إقبال الناس على الجنس المحرم، وبالتالي تقليل أعداد المصابين بالإيدز. ورغم أن هذا النهج صحيح إلى

حدٍّ مّا لحل بعض المشكلات الاجتماعية، إلا أن له آثارا كبيرة على زيادة انتشار الإيدز أكثر مما يفيد في التقليل منه. أما لماذا فهو للتالي:

إن قيام الناس بوصم مريض الإيدز يبعد الناس عن ذلك المريض، وبالتالي يعزله عن المجتمع ويحاصره، لكن المشكلة مع هذا المرض تختلف عن مشكلات أو سلبيات أو ذنوب أخرى مثل ترك الصلاة، أو ارتكاب ذنبٍ مّا؛ ذلك أن تكريس الوصم للمصابين بالمرض يدفع بالمصاب الذي لا يعلم عن إصابته بعدم إجراء الفحص اللازم للتأكد من الإصابة أو عدمها، حتى لو شك في ذلك، وحتى لو ظهرت لديه بعض أعراض المرض، وذلك بسبب خوفه من الوصم، وهذا - بدوره - يؤدِّي إلى مزيد من حالات الإصابة الجديدة بالمرض، فلو لم يكن هناك وصم للمصاب لكان اكتشف المريض إصابته بالمرض، وجنَّب آخرين العدوى منه مثل زوجته، وربما بعض أقربائه، أو من قد يتبرع لهم بالدم. صحيح أن هناك بعض الفوائد من استخدام الوصم سلاحًا ضد الإيدز - مثل تحذير الناس من الجنس الحرام - لكن سلبياته

أكثر وأشد خطرا من ايجابياته.

إن الحقيقة غير المرئية في الإصابة بالإيدز هي أنَّ هناك نسبةً ليست بالقليلة من المصابين بالمرض أبرياء، ولم يصابوا به جراء ممارسة الجنس الحرام، فكيف يمكن أن نصم هؤلاء بالعار، وبالزنا وهم لم يقوموا بذلك؟ فضلاً عن أن تركيز حالة الوصم على المصابين بشكل عام يجعل الكثيرين يفضلون عدم إجراء فحص الإيدز، والإصابة بالمرض، وربما الموت من مضاعفاته دون التجرؤ على إعلان الإصابة به حتى لأقرب المقربين منهم؛ خشية الفضيحة، وعملا بالمثل القائل (الموت ولا الفضيحة).

إن الحقيقة التي ينبغي أن يتم توضيحها، هي أنه حتى الشخص المصاب بالإيدز نتيجة لعلاقة غير شرعية لا يمكن أن يستمر وصمه بالعار طوال حياته؛ فلدينا في الدين الحنيف أبواب عديدة للعودة إلى الله، والتوبة، و(من تاب تاب الله عليه)، وحتى من لم يتب فقد أمرنا الله تعالى بالستر على الآخرين ما داموا غير مجاهرين بالفسق، حيث نهانا الدين

الإسلامي عن مجرد غِيبتهم، إلا أن يجهروا بالفسق.

إن الدين الإسلامي دين رحمة ومحبة وتسامح؛ لـذا يجب عدم التفريق بيـن المصابين بالمرض مهما تنوعت وتعددت أسـباب إصابتهم بالمرض، ويجب تحويـل النظـرة العقابيـة لمرضـى الإيـدز إلـى نظرة بالرحمة باعتبار أن الإيدز مرض مثل سـائر الأمراض الأخـرى، وتعتبر اختبارا للإنسـان. كمـا لا ينبغي أن تعتبـر الدعـوة إلـى عـدم الوصـم والتمييـز نوعا من التشـجيع على الجنس الحرام، أو عدم العفة، بل هي أسـاليب ووسائل علمية قام بدراسـتها بعض الأطباء النفسـانيين في بعـض دول العالم، وتوصلـوا إلى أن هذين السلاحين ليسـا الأنسب في هذا المرض على الأقـل، بـل إنه قـد يرتد عكسـيًّا فـي مسـيرة مكافحة المـرض. وهذا كله لا يمنع ولا يتناقض مع ايجابيات ومحاسـن العفـة والإخـلاص للـزوج أو الزوجـة والالتزام بتعاليم الدين الإسلامي[١].

---

(١) نشر في مجلة الواحة – العدد ٥٠ – خريف ٢٠٠٨

القادة الدينيون والحد من الإيدز

تبذل الأمم المتحدة دورا كبيرا في محاولة الحد من انتشار مرض نقص المناعة المكتسبة «الإيدز». وقد قامت بتأسيس قسم لها لهذا الغرض وعقدت مجموعة من اللقاءات والمؤتمرات وورش العمل في عدد من دول العالم. وقد كان حظ الدول العربية منها كبيرا، حيث عقد عدد منها في كل من مصر والجزائر والمغرب والكويت وسوريا وغيرها.

وكان من أوجه هذه النشاطات لقاءات عقدت للقادة الدينيين في الشرق الأوسط ضمت قيادات من الديانتين الإسلامية والمسيحية. ومن المشكلات التي واجهتها الأمم المتحدة في هذا الصدد مشكلة

إقناع الناس باستخدام الواقيات الذكرية أثناء الممارسات الجنسية خارج إطار العلاقات الزوجية. وقد واجهت هذه الحملة معارضة من قبل البعض الذين اعتبروا هذه الدعوة من الأمم المتحدة نوعا من إعطاء الشرعية لهذه العلاقات.

وكان هؤلاء المعارضون يرون في ان الحملة يجب أن تنصب على ضرورة تجنب هذا النوع من العلاقات الجنسية بشكل نهائي، باعتبار أنها محرمة شرعا.لكن مسؤولي البرنامج كان لهم تحليل آخر حيث يقولون إن من يقوم بممارسة العلاقات الجنسية المحرمة «أو خارج إطار العلاقات الجنسية» لا ينتظر إذنا أو سماحا من قبل أحد حتى يقوموا بهذه الممارسات، وأن العلاقات الجنسية المحرمة منتشرة في أنحاء العالم بغض النظر عن الرأي الشرعي حولها، وأن المنظمة الدولية تسعى من وراء هذه الحملة إلى الحد من انتشار هذا المرض بشتى الوسائل والأساليب وما هذه إلا وسيلة واحدة فقط من هذه الوسائل، وينبغي أن يتم العمل كذلك على وسائل أخرى للحد من انتشار المرض ومنها حملة

للتحذير من العلاقات الجنسية خارج إطار العلاقات الزوجية.

ولذلك فإنه يجب أن يحصل تنسيق إعلامي وديني كبير في مختلف دول العالم وعلى مختلف الأصعدة من أجل تحذير الناس من العلاقات الجنسية. وترى الأمم المتحدة أن عدم العمل على هذا الصعيد سوف يؤدي ومع مرور الوقت إلى اتساع رقعة انتشار المرض وسوف يصيب حتى الأبرياء الذين ليس لهم ذنب ولم يقوموا بأي ممارسة جنسية محرمة مثل أزواج «أو زوجات» المصابين بالمرض، أو من ينتقل إليهم المرض عبر الدم أو الأطفال المواليد.

وقد تمكنت الأمم المتحدة من الحصول على موافقة ومباركة من القادة الدينيين على طرح هذا الشعار على أن يقوموا هم «أي القادة الدينيون» بطرحه في منابرهم الدينية الخاصة كل في بلده. ويأمل القائمون على هذا المشروع في حصول ولو نسبة من الوعي العام في المجتمعات العربية

حتى يمكن الحد من انتشـار المـرض الذي لا يعرف الحدود الجغرافية في انتشـاره بسـبب سـهولة التنقل والسـفر بين مختلف دول ومناطـق العالم. ولا يمثل هذا البرنامج سـوى جانب فقط مـن جوانب الجهود المبذولة عالميا للحد من انتشار المرض عبر أساليب الوقاية المختلفة.

ابني والدراجة!

عندما نجح ابني (محمد) بامتياز من الصف الثاني ابتدائي اشتريت له دراجة هوائية كهدية نجاح تشجيعا له، وليتني لم أفعل! فقد تحولت قيادتها خبزا يوميا للنقاش بيني وبينه! حول مشاكل وأخطار الدراجة الهوائية في الأحساء!

ففي اليوم الأول أراد (محمد) أن يستخدم الدراجة - لكي يثبت أنه نجح بتفوق- ولأن منزلنا العامر لا يفي بالغرض فقد كان لزاما علي أن أسمح له بقيادتها في الشارع. ولأنه ابني الوحيد فلم أشأ أن أتركه يخرج لوحده، فقد رافقته خارج المنزل وليتني (أيضا) لم أفعل! فبعد أن قادها لعدة أمتار اقترب من

(جدول صغير من المجاري) يتفرع من أحد منازل جيراننا فصرخت فيه أن يتوقف قبل أن يخوض فيه، وهنا استخدم الفرامل لأول مرة في حياته. وطلبت منه أن يتحول إلى اتجاه آخر في الشارع، ففعل. لكنه لم يلبث حتى واجه (جدولا) آخر، فصرخت فيه ان يتوقف حتى لا يخوض فيه ففعل وبدأ يتلفت معي إلى جوانب أخرى من الشارع لكن القصتين السابقتين تكررتا هنا أيضا فالتفت إلي وقال: لماذا يجب ألا أخوض في المجاري؟

وهنا بدأت أشرح له وبتبسيط شديد ماهية المجاري ومكوناتها. ولأنه يريد أن يقود دراجته فاجأني بالسؤال عن أضرار الخوض في المجاري! فكان علي أن أدخل في سجال معه لشرح ماهية الجراثيم والميكروبات الموجودة في المجاري رغبة في إغلاق الموضوع. لكن ذلك لم يقنعه فقال وهو يحاول الإفلات مني لإكمال فرحته التي لم تتم بدراجته: وما دخلي أنا في الميكروبات، فهي لن تدخل فمي، بل ستبقى في عجلات الدراجة! وهنا كان أيضا علي أن أشرح له كيفية انتقال الجراثيم إلى

فم الإنسان بأشكال غير مباشرة وعبر اليد وكيف أن مياه الجراثيم سوف تلتصق بمكان ما في الدراجة حيث يلمسها بيديه ثم تنتقل إلى فمه عندما يضع يده في فيه! فما كان منه إلا أن أخذ على نفسه العهود والمواثيق بأنه لن يضع يده في فمه، وأنه سوف يغسل يديه بالماء والصابون قبل أن يدخل البيت، فقط لكي أسمح له باستخدام دراجته.

ونتيجة تعبي من التوضيح فقد حملت له الدراجة إلى خارج حصار جداول المجاري التي تحيط بمنزلي إلى بقعة أخرى قريبة. وهكذا فرح بتمكنه من قيادة الدراجة بسرعة، لكنه لم يكد يبدأ بالسرعة حتى قابله جدول مجاري قطع عليه فرحته فاضطر إلى الرجوع من نفس الطريق. وهنا بدأ مشوار نقاش آخر، وسألني: لماذا لا يسحبون هذه المجاري دائما؟ أجيبه: إنهم يسحبونها ولكن الناس لا يتوقفون عن الاستحمام!

وكان ابني عندما يجد بقعة طويلة نسبيا يمارس فيها ما يريدها أن تكون هوايته المفضلة كانت سيارة

مسرعة تقترب من بداية الشارع ما يضطرني أن احذره وأطلب منه التوقف. فكان يقول: ولمذا لا يغلقون الشارع حتى نستطيع اللعب هنا؟! أجيبه: صعبة يا حبيبي حتى لو كنت أنا رئيسا للبلدية!

(إذن لماذا لا يخصصون لنا مكانا لقيادة دراجاتنا) يقول فأجيبه: لا توجد ميزانية! فيسأل: وما هي الميزانية؟ فأحاول الإجابة لكنه لا يستطيع أن يفهم (أو لا يريد) ويقول إن البنوك كثيرة يابابا فلماذا لا يأخذون منها بعض المال؟!

هذه بعض الحوارات بيني وبين ابني والتي تعتبر نموذجا فقط من أمثالها بين أكثر من أب وابنه. وعندما حل المساء ولم يكن ابني قد لعب بالدراجة بما فيه الكفاية شعرت بأنه يصرخ من داخله: إذن لماذا أذاكر طول العام واستحق الجائزة ثم لا أستطيع قيادة دراجتي؟!

لماذا يا أبي اشتريت لي دراجة؟[1]

(١) نشر في جريدة اليوم السعودية جريدة اليوم - السبت ١٤٣١-٠٨-١٩هـ الموافق ٢٠١٠-٠٧-٣١م.

الكمبيوتر والورق

عندما نسمع عن التقدم التكنولوجي يأتي الحديث مباشرة عن تأثيراته على البيئة.

يحاول المهتمون بالشأن العلمي أن يربطوا بين التقدم التكنولوجي والمحافظة على البيئة. ومن الأمثلة التي يسوقونها أن انتشار استخدم الحاسب في شتى مناحي الحياة ودخول الكثير من الدول في مرحلة ما يسمى (الحكومة الإلكترونية) سوف يعني فيما يعنيه تقلص استخدام الورق وهو ما يعني عمليات أقل لقطع الأشجار التي تستخدم في صناعة عجينة الورق. ويسوق هؤلاء الفكرة على أنها حقيقية ويطالبون بمزيد من الإعتماد على الحواسيب في العالم.

لكن هذا التحليل قد لا يستطيع الصمود أمام التمحيص، حيث إن التطور التكنولوجي الذي يسهل من تداول المعلومات عبر الشبكة العنكبوتية العالمية هو نفسه الذي جعل سعر الطابعات رخيص لدرجة تشجع على شرائها واستخدامها. بل إن سعرها أرخص من سعر علبتي الحبر المرفقتين في بعض أنواعها عند شراءها. وهذا التقدم يشجع الجميع على السرعة في طباعة أي مستند تقع عليه أنظاره.

فالمستند المطبوع يمكن قراءته في أي مكان في المنزل وحتى في دورة المياه وفي الشارع وفي السيارة عند انتظار إشارة المرور. بينما تحتاج قراءته من شاشة الحاسب إلى جهد أكبر مهما صغر حجم الحاسب ونوعه. كما قد يحتاج إلى مصدر تيار أو بطارية، ووضع خاص في الجلوس أحيانا.

كما أن زيادة الإعتماد على الحاسب سوف يعني بالضرورة الحاجة إلى طاقة أكثر وهو ما سيرفع أسعار النفط، وما سيؤدي إليه استهلاك النفط من تلويث للبيئة من هواء وتربة ومياه. وهكذا عدنا مرة

أخرى إلى ما كنا نخشاه!!

كما أن مما يجعل الناس يميلون إلى استخدام الورق هو أن الورق أبقى وأطول عمرا من وسائط الحفظ الإلكترونية. ففيروس واحد يصيب الحاسب يعني ضياع جهد ساعات وأيام وربما سنوات على البعض. لكن هذه المعلومات بحاجة إلى حريق ضخم كي تحرق هذه المعلومات عندما تكون على ورق أو في كتب

إنها ليست دعوة للرجوع عن استخدام التكنولوجيا، لكن هذه المعطيات تجعلنا نكون أكثر واقعية في استخدامها، وأن نسقط - على الأقل - عامل تقليل استهلاك الورق على الإستفادة من التكنولوجيا الحديثة. ونلاحظ بأن الخطوات البطيئة المتخذة في المملكة في مجال الحكومة الإلكترونية لا تزال في بداياتها، حيث يطلب من المراجعين أن يدخلوا على موقع إدارة حكومية وأن يقوموا بطباعة نموذج ما وتعبئته ثم إحضاره إلى تلك الدائرة!

الإلتزام بقواعد المرور

عندما نقرأ بأن هناك ٣٠٠٠ مخالفة مرورية في الأحساء خلال أسبوع، فإن هذا مما يروع المرء ويبعث على الأسى في القلوب ويدل على نقص حاد في الوعي المروري لدى مختلف شرائح المجتمع.

ولطالما شاهدت سائقي مركبات ليس لديهم الصبر الكافي لكي ينتظروا ثوان معدودة عند إشارة المرور، وليت هؤلاء كانوا بالفعل مشغولين وتنتظرهم مهام ومسؤوليات لا يستطيعون تأخيرها مع أن ذلك ليس عذرا لقطع الإشارة.

وتكمن المشكلة الحقيقية في هذه المخالفات أن من يقوم بها لا يعتقد بأن حادثا مروريا سيقع له هو

بالتحديـد، بل قد يقـع للجميع باسـتثناء». وقد يرجع السـبب في ذلك إلى عدم حضور فكرة الحادث لدى من يقوم بالمخالفة.

إن الالتـزام بالقواعـد المرورية هـو قيمة بحد ذاتـه حتـى لو لـم يـؤد إلى حـادث. ولـذا فنجـد في المجتمعات المتقدمة أن السـائقين يقفون (مثلا) عند لوحة (قف) في تقاطعات الشـوارع حتى لو لم توجد أي سيارة في التقاطع ولم تكن هناك أية مبان مجاورة لـه تمنع الرؤية، بل هو ما يفتـرض أن يحصل كمعنى لهذه اللوحة.

لذلك فإننـا بحاجة إلى جملة إجـراءات تحفز على الإلتزام بالقواعد المرورية والتي أذكر منها زيادة اللوحات الإرشادية التي تشجع على ذلك طوال أيام السنة، وجعل الإلتزام بها قيمة تستحق التقدير والثناء. وإنتاج بعض البرامج التلفزيونية في هذا السياق.

وقـد أعجبني فلـم كارتوني يتم بثـه في إحدى قنوات الأطفـال حـول طفل يدخـل إحـدى الغرف علـى مجموعة بدون اسـتئذان عدة مـرات، وكان في

كل مـرة يدخـل تحصل له مشـكلة أو عقوبة. وعندما قام في المـرة الأخيرة بقرع الباب قبل الدخول قامت المجموعـة بالتصفيـق لـه وتهنئتـه علـى ذلـك. ماذا لـو قامـت التلفزيـون السـعودي بانتاج برامـج كهذه كارتونية كانت أو حقيقية؟

إن التوعية المرورية هي عملية تراكمية لا تتأتى إلا عبر سلسلة من النشاطات والفعاليات الإجتماعية والثقافيـة المتنوعة في فترات زمنية طويلة ولمختلف الأعمار والشرائح الإجتماعية.

ويجب أن نتوقع مثلا أن يكون للالتزام بقوانين المرور لدى الأطفال وصغار السـن قيمة حتى قبل أن يتعلموا القيادة. عندها لن نحتاج إلى كبير جهد عندما يكبر الأطفال ويجلسوا خلف مقود السيارة.

أبعدوهم عن التلفاز

لا يكاد المرء يصدق اليوم مدى التأثير الذي يحدثه هذا الجهاز الصغير في حياتنا اليومية، فهو يقتطع عدة ساعات من كل منا، جالسين محملقين في هذا الصندوق الصغير الذي ربما لم يتخيل مخترعه «لوجي بيرد» بأنه سوف يأخذ هذا القدر من الأهمية من آلاف الملايين من البشر. وتشير بعض الدراسات أنه يأخذ نحو ثماني ساعات من الأمريكي كل يوم، بينما يأخذ أقل من هذه الساعات في البلدان الأخرى. وعندما يتخيل الواحد منا اليوم كيف كنا «نحن وآباؤنا» نقضي الساعات التي نقضيها اليوم في مشاهدته، فإنه يدهش لمدى التأثير الذي يمكن أن يحدثه هكذا سلوك.. فقد كان الآباء في السابق

يصطحبون أبناءهم معهم في زياراتهم لأقاربهم أو لأصدقائهم أو في أماكن أعمالهم.. ولست بحاجة هنا إلى التدليل على ما يدور في هذه الأماكن من أحاديث وقصص كانت تشكل خلفية ثقافية للأبناء، كانت المتنفس الوحيد ويكاد يكون الزاد الثقافي الوحيد لهم. هذا الواقع تغير اليوم، وأصبح التلفاز يشكل رافدا أساسيا لمعلومات الأطفال، حيث يقضون أمامه من الساعات أكثر بكثير مما يقضونه مع آبائهم، لدرجة سماه بعضهم «الأب الثالث»، بل ربما يعتبره بعضهم «الأب الأول» مع غياب الأبوين «معنويا» عن أبنائهم.

ورغم الإيجابيات الجمة للتلفاز إلا أن عدم الاكتراث بما يشاهده الأبناء، وبعدد الساعات التي يقضونها أمامه، أو عدم توجيههم، أو تصحيح بعض معلوماتهم التي يستقونها منه قد تخلق توجهات ثقافية أو فكرية لكثير من أبنائنا لا نستطيع التنبؤ باتجاهها. كما أن ذلك قد يخلق لنا جيلا كسولا مترهلا، لا يحب الحركة، كما لا يميل إلى كثير من التفكير الجاد أو القراءة، حيث يشجع التلفاز على أخذ المعلومة

السهلة المعتمدة على الصورة والصوت فقط. وتميل الدراسات الطبية إلى القول بأن الجلوس الطويل أمام التلفاز قد يؤدي إلى أمراض عدة منها بعض أمراض المفاصل وضعف البصر والبدانة، وأمراض قلة الانتباه. كما أنه يؤدي فيما يؤدي إليه إلى تأخر النطق عند الأطفال الصغار والانعزالية عن الآخرين. لذا فإن الكثير من الدراسات المتخصصة في التربية تنحو إلى ضرورة تقنين ساعات مشاهدة الصغار للتلفاز وذلك من أجل تقليل أي تأثيرات سلبية محتملة عليهم، وتنويع وسائل المعرفة لديهم.. صحيح أن ذلك أصبح عسيرا في ظل التطورات التكنولوجية، إلا أن وضع بعض القوانين المنزلية قد يساهم في الحد من ساعات مشاهدته[١].

---

(١) نشر في جريدة الجزيرة السعُودية

بين القراءة والمكملات الغذائية

أخبرني أحد الأصدقاء بأنه كان مدمنا على مشاهدة التلفاز أخبارا وتقارير ومسلسلات وأفلام وبرامج متنوعة، وفي أحد الأيام حصل خلل في جهاز استقبال القنوات الفضائية (الرسيفر) في منزله، ولم يكن لديه شيء آخر يفعله.. فاتجه إلى مكتبته العتيدة التي لولا الشغالة لعلاها الغبار.. فتناول كتابا وبدأ في قراءته. وكان من حسن حظه أن كان كتابا شيقا فأنهاه في ليلته.. هذا الموقف يحصل مع الكثيرين من أبناء مجتمعنا الذي يشترون الكتب أو يحصلون عليها، لكنهم لا يقرؤونها إلا في (النوائب)، كنائبة الرسيفر التي ذكرنا.. ولذلك فإننا لا نستغرب عندما نقرأ الأرقام المحزنة عن نسب القراءة في عالمنا العربي.. كتلك التي تقول بأن الشخص العربي

يقرأ ما بين ٧ و ١٠ دقائق في العام الواحد، أو أن (المعدل العالمي السنوي للقراءة لدى الفرد الواحد يصل إلى أربعة كتب وفي أمريكا إلى أحد عشر كتابا وفي انجلترا سبعة كتب أما في العالم العربي فربع صفحة للفرد). كما لا نستغرب عندما نعلم بأن ما تستهلكه إحدى دور النشر في فرنسا - وهي دار نشر باليمار - في سنة يساوي ما تستهلكه جميع دور النشر العربية.

والحقيقة أن التقنية الحديثة باتت مغرية جدا إلى درجة كبيرة سحبت معها البساط من تحت أقدام الكتب.. الكتب التي تربى عليها أكثر العلماء والكتاب والمفكرين.. صحيح أن الوسائل الحديثة مثل التلفاز والكمبيوتر وغيرهما يمكن أن يستفيد منها المرء في زيادة حصيلته العلمية والثقافية، لكن تبقى للكتاب قيمته وأهميته في بناء أساسات العلوم لدى كل منا.. فالعلم الحقيقي لا يأتي إلا بالجهد، أما العلوم التي تأتي سهلة من جريدة أو مجلة أو من برنامج تلفزيوني أو محاضرة عابرة، فرغم أهميتها، إلا أنها تبقى مكملات ثقافية ليس إلا، كما المكملات الغذائية التي تؤكل أو تشرب من أجل سد نقص غذائي ما في جسم الإنسان،

ولا يمكن أن يكتفى بها بديلا للأغذية الأساسية..

وكما أن الاعتماد الكلي على المكملات الغذائية يؤدي في النهاية إلى مشكلات صحية وإلى خلل في بنية الجسم، فإن الإعتماد على المكملات الثقافية، كاستقاء العلم من جريدة ومجلة وبرنامج تلفزيوني سوف يؤدي إلى حصول تشوه في المستوى العام للحصيلة العلمية والثقافية لمن يعتمد عليها..

وبمقدار الجهد الذي يتم بذله للحصول على العلوم، يكون التشبع بها وتبقى محفورة في جدر الذاكرة.. ولا أزال أتذكر مبهورا ما قرأته من مقال للكاتب الموسوعي الدكتور خالص جلبي الذي قال فيه بأنه قد كرر قراءة بعض الكتب أكثر من عشرين مرة مثل (مقدمة ابن خلدون)!! وذكر أسماء كتب أخرى أيضا.. وليت شعري لو أن بعضنا يقرأ هذه الكتب وكتب أخرى لمرة واحدة يكمله من غلافه إلى غلافه.. وذكر جلبي في مقال آخر بأنه لا يرى خيرا من صرف المال في شراء كتاب أو في طلب علم بعد الواجبات الدينية..

إن التوجه نحو المكملات الثقافية كبديل لمنابع الثقافة الأصلية لا يمكن أن يبني جيلا مثقفا على أسس سليمة ومتينة.. نعم يمكنه أن يسد فراغات في البناء الثقافي للجيل لكنه لا يبني الثقافة.. وهذا لا يمكن أن نشبهه إلا بالحصول على المعلومات اللازمة لحل الكلمات المتقاطعة..

إنها دعوة للجميع، وللشباب بصورة أخص، بأن ينهلوا من أمهات الكتب في الجوانب الفكرية والثقافية والعلمية وهم في مقتبل أعمارهم، وذلك لأن هذه الكتب هي التي تبني أسس وقواعد معلوماتهم وأنماط تفكيرهم. وأن الهروب من هذه الكتب إلى ما سواها مما تسمى (ساندويتشات معلوماتية)، لا يمكن اعتبارها أكثر من (تصبيرة علمية) لا أكثر يمكن أن ينهل منها المرء في بعض فترات حياته وفي فترات الراحة من القراءة المركزة والمعمقة، وأن الزاد الحقيقي هو في أمهات الكتب التي بنت أجيالا عربية حقيقية على مدى الحقب الماضية.

الفهرس


يوسف أحمد الحسن
من مواليد 1959 الأحساء -
المملكة العربية السعودية
كاتب وصحفي . كتب في عدد
من الصحف والمجلات منها :
الرياض، الجزيرة، اليوم، مجلة
الواحة، في قضايا الثقافة
والسياسية والمعلوماتية
شارك وأدار عشرات ال
الثقافية والأدبية في عد
المنتديات والمؤتمرات
فيس بوك ook.com/alhasanyousefa
توتير .twitter.com/yousefalhasan
يوتيوب v.youtube.com/alhasanyousef
الموقع www.alhasan.net
بريد اليكتروني alhasany@yahoo.com
تصميم
انتصار صبري